المعمارى المعلم
عصام صفى الدين
مؤسس بيت المعمار المصرى

٣٠ سبتمبر ٢٠٢٠

هؤلاء المعماريون وحقهم الغائب

أوجه كتابتى هذه إلى كل الزملاء من المرممين والمشتغلين بالعمارة، وستكون كلها فى ملحق خاص مع رسائلى الرسمية إلى الزميل د. مصطفى مدبولى رئيس مجلس الوزراء، بصفته، من خلال مكتب المستشار الإعلامى لتصل إليه شخصيا، فقد استجاب عدة مرات لرسائل وجد فيها توضيحا وتدقيقا فى مرات سابقة خاصة بأمر معمارى وتراثى.

مبدئيا... إن بدى على رسالتى هذه تحيزا خاصا "بصفتى معماريا" فإنما هو حق واجب الاهتمام به، وكتوثيق ثقافى عام، كذلك إن بدى عزفا أية مشاعر عاطفية، فأنا هكذا دائما ما يكون مدخلى فى أية ممارسة مدخلا عاطفيا. وقد دفعنى للمسارعة إلى الكتابة ولم إنشغالى المتواصل هو ما أبدته الزميلة أ.د. عليه عبد الرهادى أستاذ العمارة الداخلية بفنون جميلة القاهرة، من إشارة إلى وجوب ذكر إسم المعمارى مع أية مناسبة لافتتاح أية منشآت معمارية لها تأثيرها و وظيفتها وقيمتها، وكان ذلك عبر جهاز التحول، فأسرعت بإلتقاط ما عندى من أوراق قديمة لأكتب مؤيداً وموضحاً ومناديا "الزملاء للمؤازرة.

وانتهزتها فرصة أيضا لتضم ما يمكن من خاندة تثقيفية لطلبتى.. ولغيرهم.

مقدمة :-

العمارة من وجهة نظرى هى فن إبداعى وثقافى بالدرجة الأولى، وغير مسبوق بالتحقيق حيز مكانى وحجمى لممارسة الحياة واستمراريتها الحيوية، ويستند هذا الإبداع إلى علوم إنسانية وعلوم طبيعية، وفق مجموعة من العوامل للتصميم والقرار الأنسب من وجهة نظر المعمارى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• وحين أتحدث في هذا الموضوع الذي أنا بصدده ، فإنما أنا أقصد به كل من يتسبب في وجود المنشأ المعماري ليؤدي دوره المنوط به ، ولهذا فأنا أقصد أيضا وضمناً حق عدد من المبدعين المساهمين في هذا ... وبا ختلاف وتنوع وأولوية دور كل منهم وهم :-

أولا :- المعماري مصمم الكيان الجسدي كله كانتفاع وجمال وتوافق مع ما حوله.
وهو موزع الأدوار معه ومنسقها ومؤكدها.

ثانيا :- المعماري مصمم العمارة الداخلية والأثاث والذي يختار ويحدد الأعمال الفنية المكملة سواء ما كان منها منقول أو ثابتا أو فن جداري.
وقد يكون معهما أيضا
مصمم التحاليل الحسابي (الإنشائي) خاصة إذا ما كان دوره له أهمية كبيرة في تحقيق تصورات المعماري المصمم للكيان الجسدي.
أو مصمم الأعمال الصحية والكهربية والإلكترونية والصيانة والأمن ... وغيرهم.
وقد يضاف إليهم مصمم عمارة المشهد الطبيعي (اللاندسكيب) إذا ما كان مع العمل.
..... ولكن حديثي مركز على الأول والثاني وبالضرورة.

• والمعماري هو من يضيف الحياة بعمله إلى الحياة الأسبق عليه ، وهو المعبر بعمله المخلص عن التفضيل الجمالي أو الذوق العام للمجتمع ، وهو أصلا (المعلم المبتكر) (كما كان يطلق عليه طوال العصور الوسطى وقبل الدراسة المنهجية ما بل وكان في العصر المصري القديم مدير أعمال الملك البنائية أو الجامع لعدة مسئوليات تقنية وسلوكية وبنائية) ، وهو ما سأذكره في نهاية الكتابة بشيء من الحصر لأسماء.

• والمعماري ... لابد وأن يكون متمتعاً أصلا بالموهبة الفنية وخبرة الممارسة الحرفية ، وعلى دراية تامة بتاريخ ونظريات العمارة ، وسعة الاطلاع على كل ما هو جديد مستحدث ، مدركا أهمية الاختيار وليس الابتكار ، وشمولية المعرفة بالعوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية ، والتقديرات الأصح إدراكا للأغراض وفئات من سيستعملون عمله وتأثره هم به إيجابياً نفعاً وجمالاً.

• ثم إن المعماري هو الناصح الأمين والمرشد لصاحب رأس المال المالك للعمل ، كما يجب أن يكون الإنسان صاحب الرؤية ، والضمير المنضبط أمام نفسه ، وأمام المالك ، والمجتمع ، وطبعا وأصلا أمام الخالق الوهاب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

⑤ إنجاز :-

السؤال من جهة أخرى ، والخاص بهدف من الكتابة .. ، هل يمكن أن يتم أى مبنى نافع سواء أكان بسيطاً أو متراكباً متعاظماً ... دون وجود المعمارى المصمم الذى يدرك الاحتياج والهدف والمكونات ... فيحولها إلى جسد بنائى ، نفعى وجمالى ، محافظاً على الثروة الطبيعية والثروة البشرية الممنوحتان من الخالق ، والموصى عليهما ، ويكون عمله متوافقاً إيجابياً مع الإطار البيئى المحيط سواء ما كان طبيعياً أو عمرانياً ضمن الطبيعى الأصلى. وهو المعمارى الذى يعرف مسئوليته تجاه شروط المنفعة والمتانة ، والتعبير المكان والزمان ، ومع الجمال والاقتصاد.

⑭ ولهذا كله وجب إعادة الاهتمام بوجود وتوثيق إسم المعمارى على كل منشأ مرة أخرى إبتداءً من الآن ... بل وبأثر رجعى ... فهذا حق غائب ، وأقصد بالأثر الرجعى ما يمكن تداركه فى الفترة التى خلت من ذكر اسم المعمارى ، وألا يكون الاهتمام فقط سواء باللوحة التأسيسية أو باللوحة على المدخل خارجه أو داخله مباشرة ، .. أو يكون الاهتمام باسم معالى الوزير الذى تم فى عهده المبنى أو إسم المقاول مع كامل احترامى لهذا أو ذاك ، فهما من يوكل إليهما الرغبة والاحتياج من المجتمع ثم الإجراءات والتنفيذ.

⑮ وهذا ما كنت أراه وأتتبعه منذ كنت صبياً ثم شاباً دارساً على أغلب ما رأيت من أعمال معمارية منشأة طوال القرن العشرين ، سواء ما كان إسمها مصرياً أو أجنبياً ، وحتى سنوات أوائل السبعينيات ، فليس على اللافتة أثناء التنفيذ ، وإنما ترتيباً بلوحة رخامية صغيرة مذكور بها إسم المعمارى وسنة الإنجاز.

⑯ وصحيح من يقول بأن التأريخ للعمار المصرى لا توجد به مثل هذه الوثائقية إلا قليلاً وكان ذلك فى عمارة مصر القديمة (مثل سنموت وإيجوتب ونفرحوتب) مثلاً ، وأن مثل هذا قليلاً أيضاً بل وقد يكون نادراً (مثل محمد بن بريك المحسن فى مدرسة السلطان حسن وبآثار أخرى بعواصم أخرى) ، وهو ما سأذكر إجتهاداً فيه بعد فرغ من الكتابة لتأتى وجهة نظرى ، وذلك بعد الرجوع إلى أصدقاء من أهل العلم وليس بمجرد الاعتماد على ذاكرتى المتواضعة ، وحتى تزداد الجرعة التثقيفية لأبنائى والأحفاد .

وطبعاً هذا كله غير موجود فى أنماط عمارة مصر الشعبية الخمسة المعروفة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأهمية والجدوى :-

تتعدد أهميات ذكر وتوثيق اسم المعماري المصمم، منها ما هو تعليمي أو ثقافي أو تاريخي أو إبداعي أو وطني، وتربوي، فهما اختلف أو تفاوتت درجة الأهميات، وهي أمور تحتاج لمراجعة وتوعية وإجراءات، وقد تكون تشريعات، وأقصد بالأهمية وجوب الاتباع وأنواعها أني غير مهتم فقط بكونه معماريا أو مهندسا أو ناقدا، وإنما هو الواجب.

وأن يصاحب ذكر الاسم ذكر سنة التصميم (أو الانجاز)

ويمكن الاجتهاد في حصر أمثلة من الجدوى وتوجهها تربويا وفق الآتي :-

أولا للمعماري نفسه :-

١- الحق الأدبي وملكية الفكر والإبداع.
٢- توثيق للجهد والمكانة.
٣- حافز لمقارنات تطويره لنفسه وبنفسه من خلال المراحل.
٤- الفخر لأسر تلامذته الذين علموه.
٥- الذكرى الطيبة لأبنائه وليكون ذلك حافزا على الحفاظ على المكانة.

وغيره...

ثانيا للطالب دراسة المعمارة :-

١- الفخر والاعتزاز بالمعماري المصري الذي سبقه في التعلم ثم في المهنة.
٢- تتبع الخواص والمراحل الفكرية للمعماريين المصريين.
٣- تأسيس الرأي النقدي.
٤- تحفيز على تقوية مشاعر الانتماء.
٥- تحفيز على منهج البحث والاستبيان والاستدلال.
٦- تحفيز على الاجتهاد لدى الطالب ليعمل من أجل أن يكون هكذا في الاسم والمكانة.

وغيره...

ثالثا للدولة :-

١- تأكيد احترام الدولة للعمل الإبداعي.
٢- تأكيد احترام من قام بالعمل الإبداعي.
٣- الإسهام في التوعية والتثقيف العام.
٤- الإسهام في تقدم وإحسان الفكر المعماري والتنافس في مجاله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

● وحيث كان المعمارى (أو المُعلِّم البناء) له احترامه الكبير وأهميته وشهرته بالنسبة لكافة أفراد المجتمع ، وقد تكون أكبر من شهرة الراغب فى العمل البنائى أصلاً ... ، وهو المعمارى صاحب الكلمة العليا والقيادة ومنهج الإنجاز ، وصيغته وصياغته ، وليس المقاول ، وطبعاً كم يأتى هذا من فراغ وإنما أنى من خبرة ذلك البنَّاء الموصوف بالمُعلِّم والذى يعرف كل أنواع الحرف وقد مارس بعضها ، وتدرج وارتقى بالخبرة والفكر والإتقان ، وإحسان الصياغة ، متمتعاً بسعة الصدر وكمال الأخلاق وتقدير المسئولية الدينية والمجتمعية.

● مدخل :-

وبناء عليه فإن مدخلنا هو الأهمية المنطقية ، وليست مجرد التحيز لزملاء المهنة أو عاطفية الإحساس بأهمية الشخص المتسبب فى الجمال والإجادة ، وكذلك فإن الخبرة بالأفضل لنا ، وكذلك فكم من دول وشعوب تفخر بأسماء كل من المعماريين الذين ينتمون إليها سواء بالمولد والجنسية الأصلية أو بأن لهم من المفردهرين بها بعد أن إنتقلوا إلى تلك الدول لصالح المجال الأوسع والإنتشار والشهرة والفعالية بصورة أكبر.

● وكم من معماريين قد شرفوا بلد مصر ودولتهم الأصلية ، وكذا الدولة التى عدت هجرتهم إليها إنتساباً بأوطانها أو دائماً ، وكم من معماريين قد ساعدوا على تأسيس مدارس فكرية مستحدثة بفضلهم فنسبت إليهم أو نسبتا إلى الدول الحاضنة لهم.

● بل وكم من معماريين وبعد الشهرة والإمكانات قد اختص جانباً من فكره وعمله لبلده الأصلى فى علاج مشاكل معمارى أو استيطانى ، بل وأسس أو كان سبباً فى تأسيس لها هدتخص ذلك المشكل فى بلده أو فى بلد المهجر لمعالجة مشكل فى بلاد أخرى.

● إذن فإن ذكى إسم المعمارى الناجح المتميز هو فى حد ذاته هدف قومى ودولى.

● هذا إلى جانب أمر آخر ، فإن معظم الدول المتقدمة تمدنياً ومنهجياً ، تمتلك المناهج للتوجيه التثقيفى والإعلامى وأضواء الشهرة ، للنجم أو للمعمارى ، لصالح النجم ولصالح هذه الدولة أو تلك ... فتزداد المكاسب للدولة وللمعمارى معاً.

● مع تحفُّظى الخاص ، فأنا لا أروج للفكر الخاص بمعمارى مسمى بالعالمى ، ليفرض مدرسته وطموحاته وظروف تطبيقاته المهنية والمجتمعية والبيئية على دول أخرى من تلك التى يتم غزوها أو هى التى تطلبه كنوع من المفاخرة ، وتنسى الإحترام الواجب لمحلية العمارة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سابعاً الشئون التربوية :-

١- تزكية التذوق الحضاري.
٢- تزكية الاعتماد على الاستكشاف الذاتي والتكسب الخبرات.
وغيره ...

وبناء على كل ما تقدم .....
أهيب برئيس مجلس الوزراء.
وبوزارة الثقافة من خلال أجهزتها المتعددة.
وبوزارة الإسكان.
وبوزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
وبشعبة العمارة بنقابة المهندسين.
وبالجمعيات الأهلية ذات الاهتمام بالشأن العمارى أو الثقافي.
وبكافة الزملاء من مصممي العمارة (الحضري والداخلي).
وأناشدهم جميعاً من أجل الاهتمام بكل المذكور سابقاً

ملحق تابع

١- سأعرض قريباً بإذن الله بشرياً يمكن من إشارات لأهم المعماريين عبر السنوات من عشرينيات القرن العشرين وحتى مشارف الثمانينيات، وبالتوازي مع ما يمكن من إشارات لمعماريين من مشارف الثمانينيات وحتى هذه الأيام، سواء كان منهم في مجال الممارسة أو التعليم أو الفكر النظري.

٢- اجتهاد في حصر أسماء بعض البنائين (المعماريين أو المعلم البناء) عبر عصور سابقة في مصر من خلال ذاكرتي وبعد أن تأكدت لذاكرتي من د. محمد صالح د. كريم حمزه.

- في عصر عمارة مصر القديمة :- حم ايونو (الهرم الأكبر) • عنخ حاف (هرم خفع) • نفرحوتب • سنموت (الدير البحري) • ايمحوتب (هرم زوسر) • وغيرهم
- في عصر عمارة مصر الإسلامية :- محمد ابن بيليك المحسني (مدرسة السلطان حسن) • محمد ابن القزاز (المؤيد شيخ) • عبد القادر (قجماس الإسحاقي وأبو بكر مزهر) • وغيرهم

د. محمد عفيفي المعلم النحات للحجر
(قصر محمد علي بمنيل الروضة)

٢٠٢٠/٤/٣٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- الإسهام في تأسيس إمكانات الرأي النقدي.
٦- الافتخار بالأبناء من المبدعين والتحفيز على استمرارية جهدهم.
٧- الحد من سوء سيطرة رأس المال غير المثقف وتأكيد أهمية دور المعماري.
٨- الحد من سيطرة نفوذ المقاول الذي لا يرى إلا مصلحته المادية.
٩- انتشار الوعي الرقابي من النقابة.

وغيره...

• رابعاً المُعلِّم المعمارة :-

١- لتعليم طلبته كيف يتعرفون على الأعمال المعمارية.
٢- لتعليم طلبته تنوعات ومراحل وأمثلة من الأعمال إيجاباً وسلباً.
٣- لاستخلاص أهم الخصائص والملامح التي يمكن تدعيم من نجم بع.
٤- للإشارة إلى المعماريين في مصر وأعمالهم سواء من كان منهم مصرياً أو أجنبياً.
٥- للإشارة إلى الاعتزاز بالمعماريين المصريين.
٦- لتعليم الطلبة مبادئ في الرأي النقدي.
٧- للدراسات المقارنة واستخلاص العوامل.
٨- لإدراك عوامل وأسبابات الاختلاف مابين المعماري المصري والأجنبي أو العالمي.

وغيره...

• خامساً ناقد أو مؤرخ المعمارة :-

١- لتتبع الأسماء والإنتاج الإبداعي ثرياً كان سلباً أو إيجاباً.
٢- لتتبع مراحل الإبداع ومراحل التغير والتباين أو التطور سلباً وإيجاباً.
٣- لدراسات التوافق المكاني الطبيعي والعمراني والآثاري والتراثي.
٤- لتتبع مراحل ووسائل ودساتير التقدم العلمي والتقني والجمالي والإنشائي.
٥- لدراسات التناسب بين البرنامج المعماري بأهدافه ومكوناته وبين ماتم على الواقع.
٦- معرفة اتجاهات التفضيل النفعي والجمالي والذوق العام ومسبباتها.

وغيره...

• سادساً ذاكرة الوطن :-

١- التأريخ لعموم الثقافة والسلوك الجماعي والإبداعي.
٢- زيادة مشاعر الانتماء الوطني.

وغيره...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner